أرقد لغفلتك ، وانهض ليقظتك . صوت نعيك ، صديق تسمعه أذناى . بين رنين الأجراس ،أفرق نغمتك . تغمرنى موجاتك . كالأجراس تعلو فى جنباتها رنات بعوضة طائرة .

أقول لنفسى : هذه الزفرة الحزينة المبهمة، يحملها إلى نسيم الليل العميق ، موجة إثر موجة . أواه ! لأجلى تتردد هذه الأصوات العالية . أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر . والهواء الجاهل فى هذا السكون المحتدم يحمل إلى لهجته المؤثرة .

أقول لنفسى : صوت هذا المعدن المتردد ، قبل أن يصل إلى قلبى ، ويغمر جنباته ويغرق قطعاته ، اهتز فوق أطلال الماضى الراقد ، يحمل إلى من بقايا قبته المنهدمة أشياء .

حجر القبر ، حيث دفن حبى ، يقرع بهذا اللحن العذب .

لا تعجب ياولدى إذا اهتزت أفكارى لأصوات هذا الناقوس . مغرم بصمته الأمين للردى . لأول رنة تختلج تحت قبته أنف مصغيا لما يحمله إلى الحمام

أما أنت ، مذياع الحزن البشرى الذى اخترعته الأرض لتجهر بآلامها . غن نشيد القلوب المحطمة الرائع ، فزفراتك تهب الأحجار روحاً ، والمقل الجافة دموعاً ، والصلاة خشوعاً أبدياً ، والقبور حزناً سرمدياً .

* * *

عند ما يحمل العمال نفسى وبقايا حطامى ، تبقى هنا روحى تقذف حممها الملتهبة نحو السماء . الباكون ، حاشية باردة ، تسير خلفى ،اتضع جسدى، تحت باب حقير ، ترتمى عليه أشعة الشموس.

إذا يد ورعة قرعت لك شرفى . فلا تحزن مخلوقا بزفراتك المتصاعدة . لا تنشر الدموع فى الأفق . التمس جرس العيد واقرع فوق لحدى ، برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبته غرد كالعندليب لحناً خالداً ، يرتفع من منزلك ، والسوط الأسمر يوجه نحو فجر النهار خفقته المحزنة .

غن أنشودتك المترددة فى أعماق السموات تطفى. شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة .

إليك

اقرع قبل اليوم ، دق رويدا الساعة . صديق فى منزلى الحقير ، يحضر ليضىء فى هذا القلب المهدم ، الحزن العميم ، ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلا كفنى .

حسين تفكجى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

فى بلاد المدنية :

ذهبت بعيداً طائراً فى أجواء المستقبل فارتعشت وذعرت عند ما نظرت ما حولى فما وجدت من معاصر لى غير الزمان . وليت الأدبار مسرعا حتى وصلت إليكم ، يارجال اليوم ، ونزلت بينكم فى بلاد المدنية ، فألقيت عليكم أول نظراتى بصفاء نية لأننى جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ماأهاب بى إلى الضحك بالرغم من ارتياعى ، فان عينى مارأت من قبل مثل هذه الخطوط والألوان .

ذهبت فى ضحكى وقد ارتعش قلبى واصطكت رجلاى فقلت فى نفسى (لعل هذه مصانع آنية المواد الملونة) .

لقد برزتم أمامى يارجال اليوم ، وعلى وجوهكم وأعضائكم من الألوان عشرات الأنواع ، وحولكم عشرات المرايا تعكس تموجات ألوانكم ؛ والحق أنكم لا تستطيعون أن تجدوا ما تتقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، يا رجال اليوم ، فمن له أن يعرف من أنتم ؟

لقد حفر الماضى فى وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً جديدة ، لذلك خفيت حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .

ولو كان لأحد أن يفحص الأحشاء فهل بوسعكم أن تثبتوا أن لكم أحشاء وما أنتم إلا جبلة هباب ألوان وقطع أوراق ألصقت إلصاقا . وهذه جميع الأزمنة وجميع الشعوب تتزاحم مرسلة نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فاذا ما نزعت أقنعتكم وألقيت أحمالكم ومسحت ألوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى منكم إلا شبح ينصب مفزعة للطيور .

والحق ، ما أنا إلا طائر مروع ، لأننى رأيتكم يوماً عراة لا تستركم ألوانكم فاستولى الذعر على إذ انتصبتم أمامى هيا كل

عظام تومى إلى باشارات العاشقين .

إنى أفضل أن أكون من عمال الجحيم وخدام الأشباح ، لأن لسكان الجحيم ما ليس لكم من شخصية معينة ، وأمر ما ألقاه هو أن أنظر اليكم سواء استرتم أو تعريتم ، يا رجال اليوم ...

إن جميع ما يدعو إلى القلق فى آتي الزمان وجميع ما ارتاعت له فى الماضى تأهبات الطير ، إنما هو أدعى الى الاطمئنان والارتياح من حقيقتكم ، لأنكم أنتم القائلون : (إنما نحن الحقيقة المجردة عن كل خرافة واعتقاد) وبهذا تبجحون وتتفخون دون أن يكون لكم صدور .

وهل من عقيدة لكم وأنتم المبرقشون بجميع ما عرف الزمان من ألوان حتى اليوم ؟ وهل أنتم إلا دحض صريح الايمان نفسه وتفكيك للأفكار جميعها ؟ فانتم كائنات أوهام يامن تدعون أنكم رجال الحقائق .

لقد قامت العصور كلها تعارك فى تفكيركم ، وما كانت هذه العصور فى أحلامها وهذيانها إلا أقرب إلى الحقيقة من تفكيركم وأنتم منتبهون .

بليتم بالعقم ففقدتم الايمان وقد كانت للمبدع أحلامه وكواكبه قبلكم فوثق من إيمانه .

ما أنتم إلا أبواب فتحت مصاريعها لحفار القبور ، وما حقيقتكم إلا القول بأن كل شيء يستحق الزوال .

إنكم تتصبون أمامى كهياكل عظام متحركة ، أيها المبتلون بالعقم ، ولا ريب فى أن أكثركم لم يخف عليه أمر نفسه عند ما تساءل : (هل اختطف إله منى شيئا وأنا نائم ؟ والحق أن ما سلب منى يكفى لايجاد امرأة ، فما أضعف أضلاعى) هكذا يتكلم العدد الوفير من رجال هذا الزمان .

إن حالكم ليضحكنى أيها الرجال ؛ ويزيد فى ضحكى أنكم لأنفسكم مستغربون . ولشد ما يكون ويلى لو امتنع على أن أضحك من استغرابكم ولو اضطررت إلى ازدراد ما فى أوعيتكم من كريه الطعام .

إنى أستخف بكم لما على عاتق من ثقيل الأحمال فما يهمنى لو نزل عليها بعض الذباب فانه لن يزيدها ثقلا وما أنتم من يحملنى أشد الاتعاب أيها المعاصرون .

واأسفاه ! إلى أية ذروة يجب على أن أرتقى بأشواقى فانى أدير لحاظى من أعالى الذرى مفتشاً عبثاً عن مسقط رأسى وأوطانى ، فانا لا أزال فى أول مرحلتى تائهاً فى المدن أتنقل أمام أبوابها .

لقد اندفعت بعواطفى نحو رجال هذه الأيام ، ولكننى ما لبثت أن تبينت فيهم قوماً غرباء عنى لا يستحقون إلا سخريتى ، وهكذا أصبحت طريداً يتشوق إلى مسقط رأسه وأوطانه . ولا وطن لى بعد الآن إلا وطن أبنائى فى الأرض المجهولة وسط البحار السحيقة ، لذلك وجب على أن أندفع بشراعى على صفحات المياه لأفتش عنه .

على أن أكفر عن ذنبى أمام أبنائى لأننى كنت ابناً لآبائى . على أن أكفر عن حالى العتيد بكل جهودى فى آتى الزمان

هكذا تكلم زارا .

المعرفة الطاهرة

عند ما أطل القمر على ليلة أمس خيل إلى أنه أنثى أثقلها الحبل وكأن فى أحشائها كوكب النهار . وقد جاءها المخاض وأنا أميل إلى تذكير القمر منى إلى تأنيثه وان خلا من صفات الرجولة فانه رائد ليل يمر على السطوح وقد ساءت نواياه ، فهو كالراهب المتدفق شهوة وحسدا يتمنى لو يتمتع بملذات جميع العاشقين .

لا ، إننى لا أحب هذا الهر المتجول على مزاريب السطوح ، لأننى أكره كل متلصص أمام النوافذ التى لم يحكم إقفالها .

ان القمر ليمر خاشعاً متعبدا على بساط النجوم وأنا أكره كل من ينساب فى مشيته فلا تسمع وقعاً لأقدامه . فإن خطوات الرجل الصريح تستنطق الأرض ؛ وما يمشى الهر إلا متجسساً ، وهذا القمر لا يتقدم إلا بخطوات الغدر كالهر .

ما أوردت هذا المثل إلا لكم وعنكم يا أبناء الخبث وقد أرهقتم احساسكم لطالب المعرفة الصافية ، وما أنتم فى نظرى إلا عبيد الملذات لأنكم أنتم أيضاً تحبون الأرض وما عليها ومنها . لقد عرفت طويتكم فاذا فى حبكم ما يخجل وما يفسد الأخلاق ، فما أشد شبهكم بكوكب الليل .

لقد أقنعوكم بأن تحتقروا كل ما ينشأ من التراب ، ولكن

هذا الاقناع لم ينفذ إلى أحشائكم ، وأحشاؤكم هي أقوى مافيكم ؛ وهكذا أصبح عقلكم خجلا من سيطرة أحشائكم عليه ، فهو يتبع الطرق الخفية المضللة فزعاً من حجله . أنصتوا إلى مناجاة عقلكم لنفسه فهو يقول : ليت لى أن أرتقى إلى حيث أنظر إلى الحياة محرراً من الشهوة فلا ألهث أمامها ككلب يدلى لسانه وقد شفه السغب من شهوته .

ليت لى أن أسعد بالتأمل متفوقاً على إرادتى متحرراً من خساسة الأنانية ومطامحها فيسود على السلام ولا يبقى لعينى سوى لحظات القمر الثملة .

ان عقلكم يطلب التملص من ذاته لأنه طريد يشتهى أن يتعشق الأرض كما يتعشقها القمر فلا تتمتع إلا عيونكم بجمالها

ان عقلكم يرى المعرفة الظاهرة لا تحتله ما لم ينبسط أمام الأشياء دون امتلاكها مكتفياً بانعكاس أشباحها عليه كما تنعكس الأشباح على مرآة لها مثلات العيون .

أيها الخبثاء المتحرقون بالشهوات ، لقد خلت شهوتكم من الطهارة فلذلك تجدفون على الشهوة ، فأنتم لا تحبون الأرض كما يحبها المبدعون والمجددون الذين يسرون بما يبدعون وبما يجددون . فلا طهارة إلا حيث تتجلى إرادة الابداع ، فمن اتجه إلى خلق من يتفوق عليه فذلك عندى صاحب أطهر إرادة وأنقاها .

طلبت الجمال فما وجدته إلا حيث تنصب الارادة بأكملها إلى المراد ، وحيث يرتضى الانسان بالزوال لتجديد الصور وتبديلها ، فالمحبة والموت صنوان متلازمان منذ الأزل فمن أراد المحبة فقد رضى بالموت . هذا ما أقوله لكم أيها الجبناء

ولكن نظراتكم المنحرفة المؤنثة تحب الاستغراق فى التأمل فتريدون أن يدعى جمالا ما تجدجونه أنتم بعين الحذر والجبن ؛ إنكم لتدنسون أشرف الأسماء .

ان اللعنة التى تحل بكم ، أيها السائرون وراء المعرفة الظاهرة إنما هى عجزكم عن التوليد فى حين أنكم تلوحون كالحبالى المثقلات على الآفاق .

إنكم تحشون أفواهكم بأنبل الكلمات لايهامنا بأن قلبكم يتدفق عطفاً وما أنتم إلا منافقون .

لقد أخشنت القول لكم فكلماتى مشوهة ذرية ؛ غير أننى أتناولها من الفتات المتساقط من موائد ولائمكم فأستعملها حين أعلن الحقيقة للخبثاء وهذا ما يبدى من حسك وأصداف يخدش آنافكم أيها الخبثاء .

إن الهواء الفاسد يهب بلا انقطاع حولكم وحول مآدبكم لأنه مشبع من أفكاركم الدنسة وأكاذيبكم وخداعكم .

عليكم بأن تبدأوا باطراح خوركم لتتوصلوا إلى الوثوق بأنفسكم فما ينقطع عن الكذب من لا ثقة له بنفسه

لقد أخفيتم وجوهكم بأقنعة الآلهة أيها الرجال الأنقياء فأنتم ديدان قبيحة تتشح برداء الارباب

إنكم لجد متبجحين يا رجال التأمل ، حتى أن زارا نفسه أخذ بمظاهر جلودكم الالهية فخفيت عنه الأفاعى الكامنة وراءها

لقد كنت أرى فى عيونكم روح إله أيها الطالبون المعرفة الظاهرة ، قبل أن تكشف لى تصنعكم فعرفت أنكم أمهر المتصنعين

لقد بعد المجال بينى وبينكم فما تميزت فيكم الثعبان القبيح ، ولا وصلت إلى رائحته الكريهة ، وماخطر لى أن أمامى حرباء تتلون بشهواتها . ولكننى عند ما اقتربت منكم تبددت الظلمة حولى . وها إن الفجر يغمركم بأنواره فلكل قرجنوح إلى الغياب فى شهوته . أنظروا إلى هذا القمر فهو فى أفقه شاحب مذعور وقد باغته الفجر بأنواره المرسلة ، فكل شمس يتجلى حبها الطاهر فى تشوقها إلى الابداع

أما ترون الفجر ينسحب على البحر وقد اهتاجه الشوق والحنين ؟ إنما تشعرون بظمأه فى حبه وحر أنفاسه ، فكأنه يزيد ارتشاف اللجج . وهاهى ذى تتعالى نحوه بآلاف نهودها ، واللجة نفسها متشوقة إلى وصال كوكب النهار ليرشفها ارتشافاً فتتحول إلى سحب ومسالك أنوار ، بل هى نفسها تفنى فى النور متحولة إلى نور

وأنا كوكب النهار أحب الحياة وكل لجة بعيدة الأغوار ؛ تلك هى معرفتى . انى أجتذب كل غور ليتعالى إلىّ ...

هكذا تكلم زارا ...